

ترجمة الكتب اليونانية القديمة وأثرها على الفكر الإسلامي

Translation of Ancient Greek Books and Their Impact on Islamic Thought

 عبد الرحمن بن عراج

BENARADJ Abderrahmen

جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر).

.bdalrhmnbnraj67@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/11/18

تاريخ القبول: 2025/06/19

تاريخ الاستلام: 2025/03/25

الملخص: يوجز المقال عن نبذة مختصرة حول تاريخ الترجمة وأول ظهورها عند المسلمين حيث كانت البداية عند أفراد في الدولة الأموية ثم اتسعت في الدولة العباسية لتصبح برعاية رسمية من طرف الخلفاء وقد اقتدت بهم الرعاية فظهرت عند الأمراء والأثرياء وطلاب العلم وخصصت مراكز خاصة للترجمة ولكن هذه النهضة العلمية نغصتها ترجمة بعض كتب اليونان الفلسفية والتي كان لها الأثر السيء على الفكر الإسلامي، فجاءت هذه الدراسة لإبراز ذلك الأثر ونقده، تحت الإشكالية التالية:
أين تجلّى أثر الترجمة على المعارف الإسلامية، وكيف عمل النقل على التأثير في نظام المعرفة الإسلامي؟
وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: أنّ الفلسفة اليونانية قد هيمنت على الفكر الإسلامي، وغلّفت علومه بستر من الإبهام، وأضفت عليها طابع الغموض

كلمات مفتاحية: الترجمة، الفلسفة اليونانية، الفكر الإسلامي، العصر الأموي، العصر العباسي.

Abstract

The article provides a concise overview of the history of translation and its initial appearance among Muslims, starting with individuals in the Umayyad state. It then expanded in the Abbasid state under the official patronage of the caliphs, and the subjects followed suit, leading to the emergence of translation centers among princes, the wealthy, and scholars. However, this scientific renaissance was tarnished by the translation of some Greek philosophical books, which had a negative impact on Islamic thought. This study aims to highlight and criticize this impact, addressing the following problem: Where was the impact of translation on Islamic knowledge manifested, and how did the transfer influence the Islamic knowledge system? The study concluded that Greek philosophy dominated Islamic thought, obscured its sciences with a veil of ambiguity, and added a mysterious character to them.

Keywords : translation- Greek philosophy- Islamic thought- Umayyad era- Abbasid era

* Corresponding author: عبد الرحمن بن عزّاج

Langues & Cultures / © 2025 The Authors. Published by the University of Adrar, Algeria.

This is an open access article under the CC BY license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

مقدمة:

لما كانت العلاقة بين الثقافة واللغة علاقة تداخل وتشابك، ويأثر أحدهما في الآخر حتى قيل: "إن اللغة والثقافة ولدتا من رحم التفكير الإنساني".

بل وقد أثبت عدة نظريات وتطبيقات في علم اللغة التطبيقي صلة اللغة بمظاهر السلوك الإنساني، وقد قال الشافعي قديماً: "تعلموا العربية، فإنّها تثبتّ العقل، وتزيد في المروءة" (المقريزي، ٢٠٠٦ م، صفحة 210/5)، فالفكرة تنقل إلى الوجود عن طريق اللغة.

ولما كانت العلاقة بينهما شديدة الاتصال، تليدة الأواصر، فكانت اللغة العربية بمثابة الثقافة العربية والإسلامية لشدة العلاقة بينهما، وكانت اللغة اليونانية متضمنة للثقافة اليونانية، فكان لزاماً للحفاظ على خصوصية الهوية، الحذر والحيطه من حركة الترجمة حتى لا تتسلل إلينا ثقافة مبينة لهويتنا الإسلامية.

وتسعى هذه الدراسة إلى استكشاف الآثار البعيدة المدى لترجمة الكتب اليونانية على الثقافة الإسلامية، مع التركيز على الإجابة على التساؤلين التاليين: ما هو حجم التأثير الذي أحدثته هذه الترجمة على الثقافة الإسلامية؟ وما هي المجالات الفنية التي تأثرت بها بشكل أكبر؟

1. أهمية الدراسة : تبرز أهمية الدراسة من علاقة اللغة بالثقافة وما ينتج عنه من ثقافة الآخر من خلال الترجمة بما يؤثر سلباً على بعض العلوم والمعارف لاسيما الإنسانية منها، ومن هنا جاءت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم الآثار السلبية الناجمة عن ترجمة الفلسفة اليونانية في كتب التراث الإسلامي.

2. أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى إظهار أهم الأفكار التي تسللت من الترجمة اليونانية إلى العلوم الإسلامية كالعقيدة وأصول الفقه والنحو ومصطلح الحديث وأثرها كذلك في بروز الفرق المنحرفة.

3. منهجية الدراسة: تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لوصف عملية الترجمة، ونوع النصوص المترجمة، والشخصيات الرئيسية التي قامت بالترجمة، وتأثيرها الظاهر على الفكر الإسلامي، والتحليلي لفهم الأسباب والنتائج.

4- الترجمة:

4-1 لغة:

-ولها أربع معاني في اللغة وهي:

الأولى: تبليغ القول إلى من لم يبلغه، وفي ذلك يقول الشاعر: ومنه قول الشاعر:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلْغَتْهَا ... قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ.

فالترجمان و"الترجمان" هنا من يرفع الصوت لقصد الإسماع، فإن الثمانين أحدثت في سمعه ثقلاً؛ فيحتاج إلى رفع صوت المتكلم؛ ليسمع الكلام.

الثاني: تفسير الكلام بلغته التي يتكلم بها، منه أطلق على عبد الله بن العباس الصحابي "ترجمان القرآن" لأنه أجاد في تفسيره لأن من معانيها.

الثالث: نقول ترجمه إذا فسر كلامه بلسان آخر.

الرابع: نقل الكلام من لغة إلى أخرى.

وهذا الأخير هو المقصود هنا.

ويجمع هذا المعاني الأربع "البيان والتوضيح" فنقول: ترجم لفلان أي بين سيرته وترجم للباب أي بين عنوانه.

2-4 الترجمة في الاصطلاح:

هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع المحافظة على جميع معانيه ومقاصده (البغا، 1998، صفحة 259).

3-4 نبذة تاريخية حول حركة الترجمة:

لم يعرف العرب في جاهليتهم نظر في العلوم ولا يسبق لهم تعلم الصنائع، فهم كانوا فرسان بيان وأهل فصاحة، إلا أن كان فيهم حكماء ومتطببون وكانوا يرحلون إلى بلاد فارس والهند ينقلون بعض معارفهم كما الشأن بالنسبة إلى الحارث بن كلدة الذي رحلة إلى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل جنديسابور وذلك قبل الإسلام، وفي الإسلام شجع النبي ﷺ تعلم لغة أقوام عندما أمر زيد بن ثابت أن أن يتعلم اللغة العبرانية، وقال: "إني لا آمن يهود على كتابتنا - أو على سرنا - فأمره أن يتعلمها فتعلمها في خمسة عشر يوماً.

ولم تدخل علوم الأوائل إلى أرض المسلمين إلا عند القرن الأول لما فتحوا بلاد العجم إلا أنها لم تنتشر فيهم لما كان من حرص السلف في المنع من الخوض فيها (السيوطي، 2007، صفحة 10).

ولم تبدأ الترجمة إلى في عهد الأمويين، فكان خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة 85هـ - حفيد معاوية الأكبر الملقب بـ "حكميم آل مروان" فقد كان مولعاً بالكيمياء، قد استقدم لنفسه من مدرسة الإسكندرية راهباً رومياً اسمه مريانوس ورغب إليه أن يعمل صناعة الكيمياء فلما تعلمها أمر بنقلها إلى العربية ونقلها له رجل اسمه اصطفان، وقيل أن خالداً أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون مدينة مصر وأمرهم بنقل كثير من الكتب العلمية من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل (ترجمة) في الإسلام.

كما ترجم كتاب "أهرن في الطب" الذي ترجمه ماسرجويه على عهد مروان بن الحكم (أصبعة، 1998، صفحة 209)

ثم جاء بعده الحجاج بن يوسف الثقفي ونقل في أيامه الديوان من اللغة الفارسية إلى العربية، ثم نقل ديوان الشام والذي كان بالرومية في عهد هشام بن عبد الملك.

وتعد هذه الفترة التي استغرقت حوالي ستين عاماً الفترة الأولى في تاريخ حركة الترجمة من السريانية إلى العربية.

وهذه الترجمات مهدت لماسيأتي في العصر العباسي وعرف بالترجمة الكبرى.

ترجمة الكتب اليونانية القديمة وأثرها على الفكر الإسلامي

وقد تميزت الترجمة في عهد الأمويين بترجمة الكتب العلمية التطبيقية، ولم تشمل كتب المنطق والفلسفة لمصادمتها لنصوص الشرع، كما ترجمت الدواوين للإطلاع على شؤون أمور الدولة، كما أنه كان يقوم بها أفراد الناس وأحاديهم.

ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس ورسخت قدمهم في الحكم، شرعوا بتشجيع نهضة علمية، تمثلت في الترجمة الكبرى، فبدأ «المنصور» يعتني بنقل كتب النجوم والطب فأمر طيبيع جور جيس بن بختيشوع النسطوري بترجمة كتب الطب إلى العربية، كم ترجمة في عهد كتاب "السند هند" لبرهمكوي وقد ترجم ابن المقفع الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور، فترجم كتب "أرسطاطليس" المنطقية الثلاثة وهي:

كتاب "قاطيغورياس" وكتاب "باري أرمينياس" وكتب "أنالوطيقا".

ثم تولى «الرشيد» الخلافة كلّف يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب وعينه أميناً على الترجمة، فأسس في عهد بيت الحكمة سنة "217هـ"، ولما جاء عصر «المأمون» اتسعت حركة النقل (الترجمة). واهتم بترجمة كتب المنطق والفلسفة وقيل إن المأمون نقل إلى بغداد مائة حمل بغير من الكتب الفلاسفة مثل كتب أفلاطون، وأرسطو وأبقراط، وجالينوس، وأقليدس، وبطليموس وغيرهم"، وكان يحرض الناس على مطالعة تلك الكتب ويرغبهم في تعلمها، فقد كان كلف بعلوم اليونان، سخي في الإنفاق عليها، فقد روي أنه لما أراد أن ينقل فلسفة اليونان إلى العربية سأل عمن يستطيع ذلك فأرشدوه إلى حنين وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية مثلاً بمثل فكان من دهاء حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة على ورق غليظ وأسطر متفرقة؛ وذلك لتعظيم حجم الكتاب ويكثر وزنه.

فترجم حنين بن إسحاق "les categories" قاطيغورياس وتعني "المقولات" التي شرحها يحيى النحوي.

ولقد تحولت في عهد المنصور حركة الترجمة من ظاهرة معرفية ثقافية عادية إلى حد الظاهرة الاجتماعية وذلك لما بذلته الدول من العطاء.

4-4طبقات المترجمين:

وكان المترجمون طبقات، منهم من نقل من اليونانية، والسريانية، ومنهم من نقل من الفارسية، ومنهم منقل من الهندية. وقد ذكر ابن النديم في "الفهرست" أسماء النقلة من الفارسية والسريانية وباقي الألسن إلى العربية (النديم، 1997، الصفحات 333-334)

وكان أحذقهم وأمهرهم: حُنين بن إسحاق، والكندي، وثابت بن قرة، وعمر بن فرخان الطبري. وكان أكثر هؤلاء النقلة من السريان النساطرة، لأنهم كانوا أقدر على الترجمة من اليونانية، وكانت أديرة السريان مستودعاً للكتب النفيسة.

وكان أشهرهم: آل بختيشوع، وآل حُنين، وقسطا بن لوقا، وغيرهم.. وبواسطتهم انتقلت الثقافة اليونانية إلى العرب.

وكان أشهر النقلة من الفارسية إلى العربية: ابن المقفع، والفضل بن نوبخت، وموسى ويوسف: ابنا خالد، وكثير غيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية): منكة الهندي، وابن دهن.

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية): ابن وحشية، نقل كتباً كثيرة.

أهمها: كتاب الفلاحة النبطية.

ولقد بلغ عدد الكتب التي نقلت في تلك الحقبة القصيرة بضع مئات...

وهؤلاء المترجمون أكثرهم كانوا يرتزقون من نقلهم ويعملون مدفوعين بتنشيط الملوك والأمراء والحريصين على خدمة العلم، إلا يعقوب بن اسحق الكندي؛ فيلسوف العرب، وأحد أبناء ملوكها فإنه كان ينقل لنفسه ولم يرتزق بما يكتسب.

وتبعاً لما ذكره صاحب الفهرست، قام أبو نوح بترجمة كتب أرسطو المنطقية إلى آخر صيغة لها، ثم سلم صاحب بيت الحكمة وهما نصرانيان من السوربان وكان "سلم" معاصراً للخليفة المأمون. بعد ذلك، تولى حنين بن إسحاق ومدرسته مهمة نقل كامل أعمال أرسطو المنطقية (الأورغانون) من اليونانية إما إلى السريانية كمرحلة وسيطة ثم إلى العربية، أو مباشرة إلى العربية

وعلى الجملة فإن العباسيين عنوا بنقل الكتب وصرفوا الأموال الطائلة في هذا السبيل وقد شيدوا مدرسة لتربية المترجمين سموها "مدرسة الألسن" لا يدخلها إلا من أراد أن يختص بالنقل والترجمة وكان الناظر عليها طبيب نسطوري.

ويمكن تقسيم حركة النقل والترجمة في العصر العباسي إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي تمتد من سنة 136هـ إلى سنة 198هـ أي من خلافة المنصور إلى وفاة الرشيد.

المرحلة الثانية: من (198-300هـ) وقد ترجمت في هذا الدور كتب في سائر موضوعات الفلسفة والعلوم، فترجم فلك بطليموس وطب بقراط وجالينوس ومنطق وسياسة أرسطو وكتب أفلاطون وحكم فيثاغورس.

المرحلة الثالثة: من سنة (300-350هـ)

هذا ملخص تاريخ الترجمة في زمن الأمويين والعباسيين ولا سيما المنصور الرشيد والمأمون.

5-4 طريقة الترجمة:

وللترجمة في النقل طريقتان:

أحدهما "الترجمة الحرفية": وهي طريقة سلكها يوحنا بن البطريق، و عبد المسيح بن ناعمة الحمصي وغيرهما حيث كانوا يترجمون كل كلمة يونانية بكلمة عربية مقابلة لها في المعنى. هذه الطريقة تتضمن البحث عن كلمة عربية تعادل تماماً المعنى الدقيق للكلمة اليونانية، ثم استبدالها بها في النص المترجم، وذلك بشكل متسلسل حتى يتم ترجمة الجملة بأكمله، إلا أنها طريقة تعاني من مشكلتين أساسيتين:

الأولى: هي مشكلة التكافؤ اللغوي، حيث لا يوجد دائماً تكافؤ دقيق بين المفردات في اللغتين. والثانية: هي مشكلة البنية النحوية، حيث تختلف البنية النحوية للجميل العربية عن اليونانية، مما يؤدي إلى صعوبة نقل المعنى بدقة، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثير في جميع اللغات.

الطريق الثاني "الترجمة بالمعنى": في التعريب طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وطريقتهما أن يتأكد من فهم المعنى الكامل للجملة باللغة الأصلية ثم يعيد صياغتها باللغة العربية بطريقة تعبر عن نفس المعنى، بغض النظر عن تطابق الكلمات أم لا وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتاج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب (السيوطي، 2007، الصفحات 9-10).

فالطريقة الأولى ألطف وأعذب، والثانية أصدق وأمتن.

وكان هذا الأمر وهو ترجمة كتب اليونان إلى العربية قد تم عن طريق النصارى السريان سواء كانوا من النساطرة أو اليعاقبة حيث كانوا نقلوا من قبل بعض كتب اليونان إلى لغاتهم خاصة السريان منهم ثم صاروا الواسطة في اطلاع المسلمين على فلسفة اليونان.

ترجمة الكتب اليونانية القديمة وأثرها على الفكر الإسلامي

"نُسب أقدم ترجمة للكتب اليونانية إلى العربية، والتي شملت مؤلفات أرسطو المنطقية مثل "القطيغوريات" و"البري أرميناس"، و"أنالوطيكا الأول" و"إيساغوجي لفرفوريوس" إلى عبد الله بن المقفع (139هـ) كاتب الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ).

وأثبت الباحث بول كروس، استنادًا إلى مخطوطة بيروت رقم "338"، أن محمد بن عبد الله بن المقفع، وليس والده، هو من ترجم كتب أرسطو المنطقية.

وزعم أن هذه الكتب ليست ترجمة لكتب أرسطو ولكنها تلخيص لشرح لهذه الكتب.

يعتقد علي سامي الشنار أن محمد بن عبد الله بن المقفع لم يقيم بترجمة مباشرة لكتب أرسطو المنطقية، وإنما لخصها وبسطها اعتمادًا على شروح سابقة قد تكون ترجمت في عصره أو في عهد بني أمية. ومع مرور الزمن، فقدت تلك الشروح الأصلية، وبقي مختصر ابن المقفع منسوبًا إليه خطأً على أنه ترجمة أصلي (النشر، 1947، صفحة 09).

فابن المقفع لم يقيم بترجمة هذه الكتب ولكن قام بتلخيصها كما قلنا، وتقيد في التلخيص بالنص الأصلي تقيداً تاماً ولم يحاول مطلقاً أن يغير من اصطلاحات النص أو من ترتيب الكتاب كما هو الشأن عند جميع ملخصي الكتب القديمة في العالم الإسلامي.

5- نتائج الترجمة وأثارها على الفنون الإسلامية:

ولما كانت اللغة تخضع لاختلاف العادات وثقافة البيئة كانت عملية النقل من لغة إلى لغة ثانية تباينها في عاداتها وثقافتها لابد من ظهور أثر تلك الثقافة المنقولة.

ولما كان المنطق اليوناني هو أدق تعبير عن الروح اليونانية في نظرتها إلى الكون وفي محاولة إقامة مذهبها في الوجود، فلذلك لفظتها روح الإسلام والتي تستمد مقوماتها من بيئة مخالفة وجنس مخالف وتصور حضاري جديد.

واجهت الفلسفة والمنطق اليونانيان معارضة شديدة من علماء الدين، الذين رأوا فيهما منهجاً نظرياً يختلف عن الطريقة التجريبية التي اعتمدتها الأبحاث العربية. كما زعموا أن هذه الفلسفات مرتبطة بشكل وثيق باللغة اليونانية وبنيتها، وبالتالي لا يمكن تطبيقها بشكل كامل على اللغة العربية ذات البنية المختلفة

ولقد صدق ظن أحد بطارقة الروم في إفساد المنطق اليوناني المترجم للعربية للعلوم الشرعية، فقد ذكر الصلاح الصفدي في شرح لامية العجم: "عندما سعى المأمون إلى التقرب من ملك قبرص، طلب منه إرسال خزانة كتب اليونان التي كانت مخبأة في مكان سري. وبعد استشارة مستشاريه، وافق الملك على طلبه بناءً على نصيحة مطران وحيد، الذي حذر من أن دخول هذه العلوم إلى الدولة الإسلامية قد يؤدي إلى فسادها وإثارة الخلاف بين العلماء، فقال له: جَزَّهَا إِلَيْهِمْ، فَمَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ عَلَى دَوْلَةٍ شَرْعِيَّةٍ إِلَّا أَفْسَدَتْهَا، وَأَوْقَعَتْ بَيْنَ عُلَمَائِهَا (السيوطي، 2007، صفحة 41).

5-1 أثر الفلسفة اليونانية على علم النحو:

ولقد تأثرت جل العلوم الشرعية بعلم الكلام الناتج عن ترجمة كتب اليونان ومن جملة تلكم العلوم علم النحو وبيان ذلك:

أنه كان هناك تداخل كبير بين علوم اللغة العربية، مثل النحو، وعلم الكلام والمنطق. فكثير من النحاة البارزين، ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد جاء في ترجمته أنه "ممن خاض في الكلام والجدل" وصديقه لاين المقفع (142هـ) الذي ترجم منطق أرسطو من الفارسية إلى العربية، كانوا يجمعون بين دراسة هذه العلوم، مما يشير إلى العلاقة الوثيقة بين هذه المجالات المعرفية (الزبيدي، 1998، صفحة 40)

وقيل عن الفراء: إنه كان متكلماً يميل إلى الاعتزال ، وإنه كان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل ألفاظ الفلاسفة (الحموي، 1993، صفحة 10/7)

وقد كان بعضهم النحاة يوغل في استخدام الفلسفة والمنطق في تصانيفه حتى ينكر الناس عليه.

ولا نكاد نجد كتاباً نحويّاً من الكتب المؤلفة بعد المائة الثالثة خالياً من اعتماد على الطريقة الكلامية سواء في التعليل أو التقسيم أو التنظير أو المصطلح أو غير ذلك.

ولنأخذ مثلاً مبدأ العليّة (هو مفهوم فلسفي أساسي يدور حول فكرة أن لكل حدث سبب): يعد مبدأ العلية، وهو مفهوم فلسفي أساسي، أحد الركائز التي قام عليها علم النحو العربي. فقد استند النحاة إلى هذا المبدأ في بناء قواعدهم، وخاصة في نظرية العامل التي تعد جوهر النحو العربي. وهذا ما يفسر قولهم بأن النحو كله مبني على مفهوم العامل، كما يؤكد كتاب عبد القاهر الجرجاني "العوامل المائة" وفيه خلاصة للنحو، وقديماً قالوا: "النحو أثر يجلبه العامل"

وقد اختلف من أين استمد النحاة فكرة العلل أو نظرية العامل فذهب فريق إلى أنهم تأثروا فيها بالفلسفة الكلامية وذهب فريق آخر إلى أنهم تأثروا بالبحوث الفقهية.

وسواء أكانت العلل النحوية أشبه بالعلل الكلامية أم بالعلل الفقهية، فإن فكرة العلية عند المتكلمين والفقهاء أنفسهم قد تأثرت بأصل أرسطي.

ركز النحاة على تبرير قواعدهم اللغوية من خلال إيجاد أسباب وعلاقات سببية بين الظواهر اللغوية، مستوحين هذا الأسلوب من المنطق الأرسطي. وقد تنوعت هذه الأسباب والعلاقات، فمثلاً

ذكروا علة تشبيه كبناء الاسم لمشابهته للحرف وإعراب المضارع لمشابهته للاسم، وعلة الاستثقال أو علة التغليب ، وقد غلوا في هذه العلل إلى حد أفقدها كثيراً من قيمتها حتى شاع عند كل مجالس العلم: "علة النحوية كالوردة تشم ولا يضغط عليها" وقيل في الأمثال: "أوهى من حجة نحوي"

وما دفاع ابن جني والسيوطي عن العلل النحوية إلا ردّاً على الانتقادات التي وجهت إليها واتهامها بالضعف.

أثر منطق أرسطو بشكل كبير على النحو العربي، فمن جهة ساهم في تكوين بنيته ومنهجه، ولكنه من جهة أخرى أدى إلى تركيزه على الشكل والقواعد اللغوية بشكل مفرط. ونتيجة لذلك، أصبح النحو العربي أكثر تعقيداً وصعوبة في التطبيق، حيث غلبت عليه الطابع الصوري والمنطقي على حساب المعنى والدلالة، وأكثر من القوانين والضوابط فأثقل على المتعلمين وغلا في القواعد بحيث أصبحت جوفاء لا تصدق إلا على حال ومع ذلك لم تخل من استثناء.

ومن قلب النظر في شرح السيرافي على "كتاب" سيبويه، أو شرح أبي حيان على "التسهيل" يرى أن النحاة كثيراً ما أفسدوا النحو بما وضعوا من فروع، وعلل، وأصول، وأقيسة، ومسائل غير عملية.

أمثلة:

انظر ما ذكره في باب "الممنوع من الصرف" أمثلة من تلك العلل المتهافنة، وكذلك في "باب الاشتغال" و"لا النافية للجنس" أمثلة أخرى من تلك الاعتبارات الفلسفية غير المقبولة، وكثيراً ما ورد في المسألة قولان أو أقوال ، واستخدمت العلة واحدة في إثبات الشيء وضده.

ترجمة الكتب اليونانية القديمة وأثرها على الفكر الإسلامي

ومن قلب النظر في "كتاب الإنصاف" لابن الأنباري يقف اختلاف النحاة فيما بينهم اختلافاً بيناً والخلاف في فلسفة النحو أشد منه من الخلاف في النحو نفسه ويكفي لبيان ذلك أن البصريين والكوفيين متفقون على أن المبتدأ مرفوع، ولكن الخلاف بينهم في علة الرفع: هل هي الابتداء أو الخبر؟

كما نجد أن النحاة متفقون على نصب المفعول معه، ولكنهم مختلفون في علة هذا النصب فيرى الجمهور تقدم الفعل، بينما يرى الجرجاني الواو المقارنة لهذا المفعول، أما الزجاج فيضمّر لذلك فعلاً خاصاً، والكوفيون يقولون بعامل معنوي. (مدكور، 1953، الصفحات (343-346))

هذا ما دفع ابن مضاء الأندلسي إلى القول بإلغاء نظرية العامل ورفض القياس والعلل النحوية.

ولاشك أن إعفاء الطلاب والدارسين من هذه الفلسفات العقيمة والخلافات غير المجدية، تيسيراً للنحو، بل إدخاله صناعة المنطق في العلوم الصحيحة يطوّل العبارة، ويبعد الإشارة، ويجعل القريب من العلم بعيداً، واليسير منه عسيراً.

2-5 أثرت الترجمة اليونانية على علم أصول الفقه.

وقد هاجم الإمام الشافعي - وهو واضع علم الأصول، ويعتبر أول من صنف في علم الأصول في كتابه الشهير "الرسالة"- المنطق الأرسططاليسي لأن خصائص اللغة اليونانية واللغة اليونانية مخالفة للغة العربية فأدى تطبيق الأولى على الثانية إلى كثير من التناقض، لذلك جاء كتابه خالي من تعقيدات المنطقية والآراء الفلسفية وإنما على طريقة الفكر العربي الإسلامي الرصين.

وقد قال الشافعي قديماً: ما جهل الناس، وما اختلفوا إلا لتركهم كلام العرب، أو قال لسان العرب، وميلهم إلى أرسططاليس.

ويعتبر الإمام الغزالي المازج الحقيقي للمنطق الأرسططاليسي بعلوم المسلمين، ولبيان ذلك يكفي الإطلاع على تلك المقدمة المنطقية التي وضعها في أول كتابه المستقصى، بل وقد اعتبر المنطق الأرسطي شرطاً من شروط الاجتهاد وفرض كفاية على باقي المسلمين، من ذلك الحين تأثر الأصوليون المتكلمون بالمنطق الأرسططاليسي وجعلوا يفرّدون في أول كتبهم فصلاً خاصاً أطلقوا عليه: "المقدمات الكلامية".

الأمر الذي جعل كتب المتقدمين تتسم بالغموض وبأسلوب فسفي عميق ومعقد الأمر الذي أدى إلى غموض وصعوبة فهم المعنى المقصود

لذلك يرى الإمام الشاطبي ضرورة استبعاد كل ما لا ينبني عليه عمل وعلى رأس ذلك معظم المسائل الكلامية؛ لأنها ليست ضرورية لقيام هذا العلم بمهمته الاستنباطية الفقهية، وإنما هي إضافات يمكن الاستغناء عنها.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المتكلمين: «صنفوا في أصول الفقه - وهو علم مشترك بين الفقهاء والمتكلمين - فبنوه على أصولهم الفاسدة»

3-5 أثرت الترجمة في ظهور الفرق والطوائف:

لما كانت الخلافة العباسية خلافة العجم لتسلط الفرس والأتراك عليها، قد عمل هؤلاء العجم من الفرس من نشر ثقافتهم وإحياء لثرات أسلافهم عن طريق تعريب كتب أديانهم وحكمهم وتواريخهم إبرازاً لفضلهم وانتقاصاً للعرب وتشكيكهم في دينهم، وكان السبب في ظهور "الشعوبية"، وبسبب تساهل الخلفاء في أمور العقيدة وتسامحهم مع باقي الأديان، فاستغل أهل الأهواء ذلك فترجموا ما يؤيد عقيدتهم ومذهبهم، وبعضهم تسرّ بلفلسفة في نشر باطلهم كما فعل إخوان الصفا.

الأمر الذي ساهم في فشوّ الإلحاد وظهور الزنادقة سيما زمن المهدي، وفي سنة 163 هـ بدأت حملة المهدي العنيفة على الزنادقة وأمر عبد الجبار المحتسب -و الذي كان يلقيه بـ "صاحب الزنادقة" - بالقبض على كل الزنادقة الموجودين داخل البلاد.

وهو القائل -أي المهدي-: ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع .

كما كان للترجمة للفلسفة اليونانية الأثر البارز في ظهور الفرق والطوائف، بل الكل الفرق التي ظهرت في الإسلام جعلت الفلسفة اليونانية- بعد ما نقلت إلى اللسان العربي- مصدر اعتمادها وقاعدة استنادها، كل ما خالف هواهم من النصوص سارعوا إلى تأويله ولو من طرف بعيد.

4-5 أثر الفكر اليوناني على منهج الاستدلال عند المسلمين:

كان منهج الاستدلال عند المسلمين قبل كتب اليونان متمثل في الكتاب والسنة متقيد بهما وبعض دخول الفكر اليوناني عن طريق الترجمة تحول منهج الاستدلال إلى التعمق في النظر وتقديم المعقول على المنقول في العقائد، وانتشار البحث والجدل فوقعت المنازعة والخصومة في الدين التي أفضت إلى الافتراق والاختلاف.

وأما أهل التصوف، فكان الاستدلال عندهم من قبل الخواطر، والحقائق، والذوق، ويقدمونه على النقل.

فصار مذهب المتكلمة والمتصوفة في الحقيقة ما هو إلا تحويراً وتعديلاً لكلام الفلاسفة، بل أخذوا كثيراً من أصول الفلاسفة بنوا عليها اعتقادهم.

وأخطر منهما الطائفة "الباطنية" حيث ابتدعوا إسلاماً باطنياً بإزاء إسلام وتأولوا تأويلات استباحوا بها المحرمات وأسقطوا بها الفروض.

أن مقالات الفلاسفة بعد نقلها إلى اللغة العربية، وتشبع النظائر بها، دفعت أرباب المقالات الإسلامية إلى أن تجعل المعقول أصلاً والمنقول تابعاً، ولم يجدوا حرجاً في تقديم العقل على النقل؛ بحجة أن العقل أصل النقل، فلو قدمنا عليه النقل لبطل العقل، وهي مقدمة فلسفية تحتوي على كثير من المغالطات قد بينها بوضوح وتوسع كبير شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "درء تعارض العقل والنقل".

ونتيجة عن تلك المقالات الفلسفية ظهرت مصطلحات لا علاقة لها بالكتاب والسنة مثل: الأعراض والجوهر وحدوث العالم وإثبات الصانع، والتحسين والتقبيح.

ومن ذلك فتنة القول بخلق القرآن.

كما ظهر علم الكلام وهو علم قد تأثر بالثقافة اليونانية والهندية وغيرها فوقعوا في أخطاء في مسائل الأولوية، وفي مسألة النبوة، وفي مسألة اليوم الآخر وغيرها من المسائل العقيدية المهمة، كقولهم أول واجب على المكلف النظر!

وقد ابتليت الأمة الإسلامية بتعريب كتب اليونان وإقحامها في العلوم الشرعية، ولو اقتصررت الترجمة على علوم الطب والعلوم الانسانية الأخرى واستفاد منها المسلمون في أمور دنياهم ولكن أمراً محموداً.

هذا ما دفع ابن خلدون إلى رسم صورة سلبية للفلسفة اليونانية؛ إذ هاجمها وقلل من أهميتها؛ فهو يرى أن ضررها في الدين كثير فوجب أن يُصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها.

ذكر المقري في "نفعه" أن المغاربة كانوا يجلبون العلوم جميعاً إلا الفلسفة والمنطق والتنجيم، وكثيراً ما تعرضوا لكتب الفلسفة والمنطق بالإحراق واتهام أصحابها.

الخاتمة :

ترجمة الكتب اليونانية القديمة وأثرها على الفكر الإسلامي

وفي ختام هذه الورقة البحثية والتي حاولت من خلالها إبراز أثر الترجمة اليونانية على الفكر الإسلامي في مختلف فنونه مثل النحو وعلم الأصول الفقه، والعقيدة، وخلصت الدراسة إلى طائفة من النتائج أهمها:

1- إن المنطق اليوناني هو نسبة إلى المنطقة و البيئة التي كانت فيها النشأة الأولى، حيث نشأ في الحضارة اليونانية وبلغتها، بل كان المنطق اليوناني أصرح تعبير وأدقه عن الفكر اليوناني وروحه وذلك في نظرتها إلى الكون، وإقامة مذهبها في الوجود، فهي تستمد مقوماتها المعرفية والمنهجية من بيئتها وحضارتها، من أجل ذلك رفضتها روح الإسلام لتباين منهج البحث عند المسلمين عن منهج اليوناني.

ولكن يحدثنا التاريخ أن الترجمة اشتملت بل استوعبت الأفكار الفلسفة الباطلة التي تسلفت إلى الفكر الإسلامي، وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب.

2- لم تكن كتب المنطق والفلسفة اليونانية محل تقدير واهتمام عند أهل العلم الراسخين لا من أجل أنها قد اشتغلت بها الأمم الكافرة -كما يتصور البعض من غير تمحيص وتدقيق للفلسفة اليونانية- والدليل على ذلك أنهم استفادوا منهم علومًا صحيحة كالحساب والطب والهندسة والفلك وغيرها، ولكنهم رأوا في كتب اليونان المصادمة التام لصريح القرآن وصحيح العقل، ومن اشتغل بها أكثر الناس اضطراباً وأكثرهم شكاً وحيرة.

المراجع:

- إبراهيم مدكور. (1953). منطق أرسطو والنحو العربي. القاهرة: مطبعة وزارة المعارف العمومية.
- ابن أبي أصيبعة. (1998). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن النديم. (1997). الفهرست. بيروت: دار المعرفة.
- الحموي. (1993). إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الزبيدي. (1998). طبقات النحويين واللغويين. الرياض: دار المعارف.
- السيوطي. (2007). صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المقريزي. (٢٠٠٦ م). المقفى الكبير. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- علي سامي النشار. (1947). مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- مصطفى ديب البغا. (1998). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية.

السيرة الذاتية:

عبد الرحمن بن عزّاج أستاذ محاضر صنف "ب" بقسم التاريخ والآثار جامعة أحمد درايعية أدرار، حاصل هلى دكتوراه علوم في التاريخ جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حاصل على ماجستير في التاريخ الإسلامي في جامعة المدينة المنورة .